التوحيد الحق

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م

تم الصف والإخراج في

مؤسسة عبدالعزيز الراجحي الوقفية

مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٧٤)

التوحيد الحق

تأليف

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

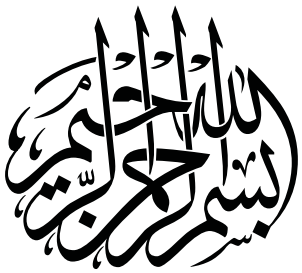
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد للَّه رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فالعبادة حقُّ اللَّه لا يشرَكُه فيها أحدٌ لا ملَكٌ مقرَّب ولا نبيٌ مرسَل، فكما أن اللَّهَ ربُّ الناس ومِلِكُ الناس لا يشرَكُه أحدٌ في الربوبية ولا في المُلْك فكذلك لا يشرَكُه أحدٌ في الأُلُوهية

والعِبَادة، فهي حق اللَّه الخالص، كما قال اللَّه تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣]، والرسل دعوا الناس إلى توحيد اللَّه وإخلاص الدين له، كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبيَاء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النّحل: ٣٦] فالتوحيد حق اللَّه على العبيد، وما خالفه وناقضه فهو توحيدٌ باطل، وهذا البحث بعنوان: التوحيد الحق.

والسبب الباعث على كتابة هذا البحث: أن بعض الناس يخلط بين التوحيد الحق والتوحيد الباطل، فيَدْخُلُ أحدَهما في الآخر، فأردت بذلك أن أجلّي الأمرَ، راجيا بذلك مرضاةَ اللَّه ونفعَ عباد اللَّه.

وأسأل اللَّه أن يجعل ذلك زلفى لديه في جنات النعيم، خالصا لوجه اللَّه الكريم، وأن يثبتني وإخواني الموحدين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه خير مسؤول وأعظم مأمول، وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فأقول مستعينا باللَّه ومعتمدا ومتوكلا عليه:

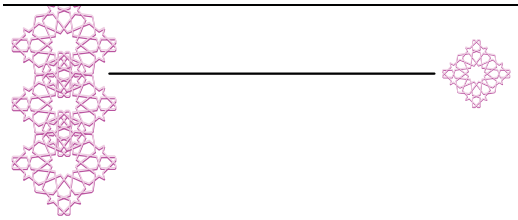

التوحيد مصدر وحَّد يوحد توحيدا أي: جعله فردا، **والتوحيد نوعان:**

الأول: التوحيد الحق، وهو الذي به النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

الثاني: التوحيد الباطل[(١)]، وهو الذي به الهلاك والشقاوة في الدنيا والآخرة.

* * *

التوحيد الحق توحيد أهل الإيمان، بأن توحد اللَّه تعالى في ربوبيته، وأن توحد اللَّه في

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٠٥)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ١٦٤)، التسعينية (٣/ ٧٨٩)، إعلام الموقعين عن رب العالمين ت مشهور (٦/ ١٨٥)، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ٩٣٢).

أسمائه وصفاته وأفعاله، وأن توحد اللَّه في ألوهيته وعبادته فتؤمن باللَّه ربا وخالقا ومالكا ومدبرا ومعبودا بالحق دون ما سواه، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهذا من الإيمان بالغيب، فمن الإيمان بالغيب الإيمان باللَّه والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب المنزلة والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره.

والإيمان باللَّه يكون بالنطق بالشهادتين بأن يشهد العبد للَّه تعالى بالوحدانية، ويشهدُ لنبيَّه محمدٍ ﷺ بالرسالة بلسانه، ويعتقد معناهما بقلبه فيرضى باللَّه ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

ولا بد من الالتزام والإتيان بحقوق الإيمان والتوحيد ومقتضياته وملزوماته، وهي أداء الفرائض والواجبات للَّه تعالى أو للآدميين كالصلاة والزكاة

والصوم والحج، وبر الوالدين وصلة الأرحام والنفقات الواجبة للأهل والأولاد والبهائم.

ومن حقوق التوحيد والإيمان ومقتضياته وملزوماته ترك المحرمات والكبائر والمآثم كالربا والزنا وشرب الخمر والسرقة وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والغيبة والنميمة والكذب وقول الزور وشهادة الزور والغش في المعاملات وأخذ الرشوة وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنين أو المحصنات وأعظم الكبائر الَّتي دون الشرك الأكبر ما كان شركا أصغر أو كفرًا أصغر أو نفاقًا أصغر كالحلف بغير اللَّه تعالى وقول: ما شاء اللَّه وشئت، ولولا اللَّه وأنت، وما لي إلا اللَّه وأنت، وكذا الطيرة والكهانة، والسحر من غير اتصال بالشياطين، وكذا الطعن في النسبِ وكذا الاستسقاء بالنجوم وكذا من انتسب إلى غير أبيه

وكذا العبد ينتسب إلى غير مواليه، وكذا ما ثبت في الحديث: «**أن آية المنافق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر**»[١] وكذا تأخير الصلاة عن وقتها لحديث «**تلك صلاة المنافق يرقب الشمس حتى إذا كادت أن تغرب بين قرني شيطان قام فنقر أربعًا لا يذكر اللَّه فيها إلا قليلا**»[٢].

وبهذا يتبين أن حقوق التوحيد والإيمان ومقتضياته وملزوماته إما واجبات يفعلها المسلم، وإما محرمات يتركها المسلم محبة للَّه وخوفًا ورجاء وتعبدا للَّه تعالى، فأما الواجبات من العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج وبر الوالدين وصلة الأرحام وكذلك جميع العبادات فإنها لا تصح إلا بالإتيان بركني العبادة وهما

(١) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).
(٢) رواه مسلم (٦٢٢).

الإخلاص للَّه تعالى والمتابعة لرسول اللَّه ﷺ قال اللَّه تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢] وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦] وثبت في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»(١) وثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٢) وفي لفظ لمسلم: «**من عمل عملا ليس**

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).
(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٣٦٦).

عليه أمرنا فهو رد»[١].

والعبادة لها أصلان لا تصح إلا بهما:

الأصل الأول: إخلاص العبادة للَّه تعالى وهو أن يريد بها وجه اللَّه دون غيره، وهذا الأصل وهذا الركن هو مقتضى شهادة أن لا إِلٰهَ إلا اللَّه، وإذا تخلف هذا الأصل حلَّ محلَّه الشرك الأكبر.

الأصل الثاني: المتابعة لرسول اللَّه ﷺ وهو التأسي برسول اللَّه ﷺ والاقتداء به ﷺ هذا الأصل وهذا الركن هو مقتضى شهادة أن محمدا رسول اللَّه، وإذا تخلف هذا الأصل وهذا الركن حلَّ محلَّه البدع.

وهاتان الشهادتان شهادة أن لا إله إلا اللَّه وشهادة أن محمدا رسول اللَّه هما أصل الدين

(١) صحيح مسلم (١٧١٨).

وأساس الملة بهما يدخل الإنسان في الإسلام وبهما يخرج من الإسلام، ومن كان آخر كلامه لا إِلٰهَ إلا اللَّه دخل الجنة، فهاتان الشهادتان سبب مقتضٍ لدخول الجنة وللنجاة من النار، ولكن لهما شروط، وقد تسمى هذه الشروط حقوقا ولوازم.

وهذه الشروط على سبيل الإجمال فعل الواجبات وترك المنهيات وكل واحدة من الشهادتين شاملة للأخرى بالضرورة، ولا ينتفع العبد بواحدة منهما ما لم يضم إليها الشهادة المقارنة لها، فلا بد في الشهادتين من الانقياد والقبول، ولا يتأتى ذلك إلا بتحقيق شهادة أن محمدا رسول اللَّه فمن لم يؤمن بالنبي ﷺ وبما بُعِث به فليس بمؤمن ولا ينفعه قول لا إِلٰهَ إلا اللَّه، كاليهود والنصارى الذين يقولون لا إله إلا

اللَّه وهذا هو سبب الاكتفاء في كثير من النصوص بالتنصيص على شهادة أن لا إِلٰهَ إلا اللَّه فحسب، فإنها شاملة لشهادة أن محمدا رسول اللَّه بالضرورة.

أما شروط الشهادتين على التفصيل فشروط كلمة التوحيد لا إِلٰهَ إلا اللَّه سبعة وهي العلم واليقين والقبول والانقياد والصدق والإخلاص والمحبة، وزاد بعضهم شرطاً ثامناً وهو الكفر بما يعبد من دون اللَّه ودليل هذه الشروط هو الاستقراء - استقراء نصوص الكتاب والسنة -، وهذه الشروط عند التأمل حاصرة بأصول الأعمال القلبية والعملية التي لا قيام للتوحيد إلا بها وما عداها مما يشترط لصحته عائد إليها، وهذه الشروط دالة عليها إما بالتضمن أو الالتزام وقد جمعت تسهيلا لحفظها في شيء من النظم

قال بعضهم:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع
محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما
سوى الإله من الأنداد قد أُلِها

وبحسب قيام المؤمن بها وتحقيقه لها يعظم توحيده وإيمانه، فإن المسلمين مع اتفاقهم على الإتيان بشهادة التوحيد متفاوتون في تحقيقها تفاوتًا عظيما، وعليه فإن التوحيد يزول، وهذه الشهادة تنتقض ويتلاشى الانتفاع بها متى زال أصل شرط منها، ويضعف الانتفاع بها متى ضعف الإتيان بها، فإن لهذه الشروط أصلا لا يتحقق التوحيد إلا به، وكمالا يكمل التوحيد بتمامه ويضعف بزواله.

[شروط شهادة أن لا إِلـهَ إلا اللَّه]

الشرط الأول: العلم المنافي للجهل

والمراد بهذا الشرط العلم بمعناها من النفي والإثبات، وتوضيح ذلك أن لا إله إلا اللَّه جملة مكونة من جزئين يطلق عليهما أهل العلم الركنين وهما النفي والإثبات، فلا إِلـٰهَ نفي وإلا اللَّه إثبات، فالنفي نفي العبودية عما سوى اللَّه، والإثبات إثبات العبودية للَّه وحده لا شريك له، وهذا النفي هو حقيقة الكفر بالطاغوت، وهذا الإثبات هو حقيقة الإيمان باللَّه الذي جاء في قول اللَّه تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] فشطر كلمة التوحيد

الأول هو الكفر بالطاغوت وشطرها الثاني هو الإيمان باللَّه والحق الذي لا ريب فيه أن معنى لا إله إلا اللَّه لا معبود حق إلا اللَّه، والمراد: البراءة مما يعبد من دون اللَّه، وإفراد اللَّه بالعبادة، ولا شك أن هذا العلم أعظم العلوم وأشرفها، وقد أمر اللَّه سبحانه عباده به فقال: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [هُود: ١٤] قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ «أي: فاعلموا أن لا إله إلا هو»(١) كما أمر اللَّه به نبينا ﷺ، والأمر له أمر لأمته قال سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [مُحَمَّد: ١٩] ومن الأدلة على هذا الشرط قول اللَّه تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [الزّخرُف: ٨٦] ومن الأدلة أيضا قول النبي ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا اللَّه دخل**

(١) معالم التنزيل (٤/ ١٦٥).

الجنة»[١] فهذا الحديث صريح في أن من نطق بكلمة التوحيد مع علمه بها فهو ناجٍ عند اللَّه والشهادة لا تكون شهادة إلا بالعلم بالمشهود به؛ لأن الإيمان بالشهادة والانقيادَ لها لا يتحقق إلا بعد العلم بمعناها، والجاهل بذلك لا تنفعه لجهله بما وُضِعَتْ له الوضع العربي الذي أريد منها، من نفي الشرك وإخلاص العبادة للَّه وحده فكيف ينفي ما نفت ويثبت ما أثبتت وهو لا يعلم شيئا من ذلك؟ أم كيف يعمل بمقتضى ما لا يعلمه؟!

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك وهو التصديق الجازم

والمقصود بهذا الشرط أن يوقن القلب بمعناها يقينًا يزول معه الشك والريب، بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما،

(١) رواه مسلم (٢٦).

واليقين هو العلم الراسخ في القلب الثابت فيه، بحيث لا يكون عرضة للريب والشك والموانع، ولا يوصف به إلا من اطمأن قلبه علما وعملا، فهو إذًا أعلى درجات التصديق.

ومن الأدلة على هذا الشرط قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحُجرَات: ١٥] فدلت الآية على أن الشك إذا تعلق بأصل الإيمان فإنه ينافي الإيمان، وأنه لا بد للإيمان الصادق من استيقان القلب، بخلاف أهل الشك والريب الذين قال اللَّه عنهم: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التّوبَة: ٤٥] وعليه فلا إيمان لمن قالها شاكًّا مرتابا.

ومن الأدلة على هذا الشرط من السنة أحاديث، منها: قول النبي ﷺ «**أشهد أن لا إله**

إلا اللَّه وأني رسول اللَّه لا يلقى اللَّه بها عبدٌ غير شاك فيها إلا دخل الجنة»[١]، ومنها قوله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «**فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا اللَّه مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة**»[٢] والمعنى في الحديثين واحد فنفي الشك يفيد ثبوت اليقين، وثبوت اليقين يفيد نفي الشك، فاشتُرِطَ في دخول قائلها الجنة: أن يكون مستيقنًا بها قلبه، غيرَ شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

الشرط الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

وهذا الشرط أصل الشروط وأهمها والجامع لها، والمقصود باشتراط الإخلاص في هذا المقام هو إخلاص العبادة للَّه ﷻ وإفراده بها،

(١) رواه مسلم (٢٧).
(٢) رواه مسلم (٣١).

ونفي الشرك، فهذا ما دلت عليه كلمة التوحيد مطابقة، والمقصود أيضا الإخلاص في قول لا إله إلا اللَّه على وجه الخصوص، فلا يقصد بقولها إلا وجه اللَّه دون أدنى شائبة من الشرك، ولا شك أن هذا يستتبع ويستلزم إخلاص العبادة كلها للَّه ﷻ.

ومن الأدلة على هذا الشرط قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا اللَّه خالصا من قلبه أو نفسه**»(١)، ومنها قوله ﷺ: «**من مات لا يشرك باللَّه شيئًا دخل الجنة ومن مات يشرك باللَّه شيئا دخل النار**» رواه الشيخان(٢) ومنها قول النبي ﷺ: «**لن يوافي عبد يوم القيامة لا إله إلا اللَّه يبتغي بها وجه اللَّه**

(١) رواه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠).

(٢) رواه البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢، ٩٣)، وهذا لفظ مسلم.

إلا حرمه اللَّه على النار»[(١)]، ومنها حديث عتبان بن مالك الطويل وفيه «**فإن اللَّه حرم على النار من قال لا إله إلا اللَّه يبتغي بذلك وجه اللَّه**» رواه الشيخان[(٢)].

ومن الأدلة الدالة على إخلاص العبادة بجميع أنواعها للَّه من القرآن الكريم قول اللَّه تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤] وقوله سبحانه ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣] وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البَيِّنَة: ٥] وقوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزُّمَر: ٢].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٢٢).

(٢) رواه البخاري (٤٢٥، ٥٤٠١)، ومسلم (٣٣).

الشرط الرابع: الصدق المنافي للكذب.

والمقصود بهذا الشرط أن يكون صادقا في قولها، بحيث يواطئ قلبه لسانه، والصدق ينافي النفاق؛ لأن المنافقين يقولونها لكن لم يطابق ما قالوه لما يعتقدونه، فصار قولهم كذبا، بمخالفة الظاهر للباطن، فيشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار: أن يقولها صدقا من قلبه، فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة القلب.

ومن الأدلة على هذا الشرط قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا رسول اللَّه صدقا من قلبه إلا حرمه اللَّه على النار**»[(١)].

ومن الأدلة على هذا الشرط أيضا الأدلة التي فيها بيان حال المنافقين وكفرهم لتكذيبهم

(١) رواه البخاري (١٢٨).

بقلوبهم وإن كانوا يقولون بألسنتهم الشهادتين ويدّعون الإيمان قول اللَّه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٨] وقول اللَّه تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المُنَافِقون: ١] وقول اللَّه تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ [الفَتْح: ١١] وقول اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التَّوبَة: ١١٩].

والفرق بين الصدق والإخلاص

إن بين هذين الشرطين تقاربًا بل تلازمًا غير أن الإخلاصُ ينافي الشرك، والصدقَ ينافي الكذب، فهما متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر فإن من لم يكن مخلصا فهو مشرك، ومن لم يكن صادقا فهو منافق.

والفرق بين الصدق واليقين:

إن أحدهما فرع عن الآخر، فمن استيقن قلبه صدق في قولها أي طابق لسانُه قلبَه، والصدق يقابله الكذب، واليقين يقابله التكذيب والشك، وكلاهما من حال أهل النفاق عياذًا باللَّه.

الشرط الخامس: المحبة المنافية لعدمها.

والمقصود بهذا الشرط محبة ما دلت عليه من: الإخلاص للَّه تعالى، ونبذ الشرك، والمراد المحبة لهذه الكلمة، ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها، وبغضُ ما ناقض ذَلِكَ، وأصل هذه المحبة وأساسها دون شك: محبة اللَّه سبحانه ومحبة رسول اللَّه ﷺ، فإن هذِهِ المحبة أصل التوحيد وروحُه، وعمدةُ الإسلام وعمودُه، فمن لا محبة له لا

توحيد له ولا إسلام البتة، ومن أحب اللَّه ورسوله أحب دين اللَّه وما جاء به رسوله عليه الصلاة والسلام ولا بد، ويتفرع عن هذه المحبة محبة المؤمنين والولاء لهم وبغض الكافرين والبراءة منهم.

والدليل على هذا الشرط جملة من النصوص منها قول اللَّه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥] ومنها: قول اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المَائدة: ٥٤] وقول اللَّه تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ

كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]، ومن الأدلة في السنة النبوية، قوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»(١) أخرجه

(١) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

البخاري، ومنها ما ثبت في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون اللَّه ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**» رواه الشيخان[(١)].

الشرط السادس: القبول المنافي للرد - أي: لرد مدلولها -

والمقصود بهذا الشرط في كلمة التوحيد: أن يقبل ما دلت عليه من إخلاص العبادة للَّه وحده، وترك عبادة ما سواه، وأن يلتزم بذلك ويرضى به، فمن شرط الاعتداد بكلمة الشهادة أن تكون على سبيل الالتزام وليس اشتراط

(١) رواه البخاري (١٦، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣) واللفظ له.

القبول مؤقتًا بابتداء الدخول في الإسلام فحسب بل لا تنفعه إلا بالتزام أن يعمل طول عمره بمضمون كلمة التوحيد ولا يخالفها، وقبولُ كلمة التوحيد يقتضي بالضرورة: أن يقبل الإسلام كلَّه أخباراً وأحكاماً، فيقابل الأخبار بالتصديق، ويقابل الأحكام بالالتزام، ولهذا لم تُدْخِلْ في الإسلام شهادةُ كثير من أهل الكتاب والمشركين للنبي ﷺ بالرسالة وأنه صادق لم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام لأن الإسلام أمر وراء ذلك فإن الإسلام ليس هو المعرفة فقط ولا المعرفة والإقرار فقط، بل الإسلام: المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعة النبي ﷺ ودينه عليه الصلاة والسلام ظاهرًا وباطنًا.

ومن الأدلة على هذا الشرط قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤] ومنها قول اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٤] ومنها قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [السَّجدَة: ١٥] ومنها قول اللَّه تعالى في حق من ردها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصَّافات: ٣٥-٣٦]، ولا رد أعظم من الاستكبار، فلم يتركوا آلهتهم المنفية بـ(لا إِلٰهَ)، ولم يقبلوا إثبات (إلا اللَّه)

ومن الأدلة ما ثبت في الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مثل ما بعثني اللَّه به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير**»[١] إلى آخر الحديث، والشاهد: قبول طائفة من الأرض للماء فتنبت الكلأ والعشب الكثير.

الشرط السابع: الانقياد المنافي للترك.

والمقصود بهذا الشرط في كلمة التوحيد الانقياد لما دلت عليه من المعنى المنافي لترك العمل بمقتضاها، بأن يعبدَ اللَّه وحده، وينقادَ للشريعة، ويؤمنَ بها، ويعتقدَ أنها الحق؛ لأن من الناس من يقول كلمة التوحيد وهو يعرف معناها لكنه لا ينقاد للإتيان بحقوقها ولوازمها من

(١) رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

الولاء والبراء والعمل بشرائع الإسلام من أداء الواجبات وترك المحرمات، فإذا لم يخلص العبادة للَّه تعالى ويتبرأ من الشرك فهذا لا تنفعه لا إِلٰهَ إلا اللَّه؛ لأنه ترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه من الإخلاص ونفي الشرك بكبر أو هوى، وهؤلاء كثير.

وعليه فهذا الشرط ينتقض في حق من أتى بأحد أمرين:

الأول: الوقوع في الشرك لأن المشرك لم يحصل منه الانقياد لما دلت عليه كلمة التوحيد.

الثاني: ألا ينقاد جملة لشرع اللَّه؛ لأن من ترك العمل بالشريعة جملة فقد وقع في التولي وهو ضد الانقياد.

وقد دل على هذا الشرط قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢]

والعروة الوثقى هي لا إله إلا اللَّه ومنها قول اللَّه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النُّور: ٤٧] فهذا هو التولي الكفري المنافي للانقياد؛ الذي نفى اللَّه الإيمان عن أهله في قوله: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فنفى اللَّه الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول.

والخلاصة أن الانقياد بالعمل بشرع اللَّه في الجملة من شروط الانتفاع بكلمة التوحيد، ولا يتنافى هذا مع حصول التقصير بترك بعض الواجبات، وإنما يتنافى هذا بالترك الكامل، فيمتنع أن يكون الرجل مؤمنا باللَّه ورسوله بقلبه أو بقلبه ولسانه ولم يؤد واجبا ظاهرا لا صلاة ولا زكاة ولا صياما ولا غير ذلك من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد ﷺ قال ذلك شيخ

الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

والفرق بين القبول والانقياد المشترَطين في كلمة الإخلاص لا إله إلا اللَّه:

إن بين الشرطين تقارباً أدى إلى حصول نوع اشتباه عند بعض الناس في التفريق بينهما، كما أن بعض العلماء قد يستعمل أحدهما مريدا به الآخر، وبالتفصيل يزول الإشكال فيقال:

إن القبول أصلٌ ثمرتُه الانقياد، وذلك أن القبول هو الالتزام بالتوحيد، والانصياع لأحكامه، واعتقاد التكليف بها، والعهد على الدخول في الإسلام، والثبات عليه مع التسليم وترك الاعتراض، هذا ما يحتويه شرط القبول.

وأما الانقياد فهو أن يقوم بالفعل ما التزم به من الإخلاص ونفي الشرك والعمل بشرع اللَّه

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٢١).

في الجملة، واللَّه أعلم.

الشرط الثامن: الكفر بما يعبد من دون اللَّه.

كما قيل في البيت:

وزيد ثامنها الكفران منك بما

سوى الإله من الأنداد قد ألها

وإلى عد الشروط ثمانية ذهب الشيخ عبدالرحمن بن حسن حفيد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمهم اللَّه في كتابه قرة عيون الموحدين[(١)]، وهذا أحد القولين له رَحِمَهُ اللَّهُ، وذهب إليه أيضاً الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]، وشيخنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]،

(١) انظر: قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (ص: ٣٨).
(٢) حاشية ثلاثة الأصول (ص: ٨٥).
(٣) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/ ٤٩)، والدروس المهمة (ص٦).

وذهب أكثر من عد هذه الشروط إلى أنها سبعة وهو القول الثاني للشيخ عبد الرحمن بن حسن[١] قالوا: إن الكفر بما يعبد من دون اللَّه داخل في معنى كلمة التوحيد، ومن حقيقتها، ومما تتضمنه، والشيء لا يشترط في نفسه وعليه فهو أحد ركنيها، وليس شرطًا في الانتفاع بها، قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ: (شهادة أن لا إله إلا اللَّه دلت على الكفر بما عبد من دون اللَّه تضمنا لا التزاما)[٢].

وقال من عده شرطا ثامنا: إن إيراده ضمن الشروط لأهمية هذا الموضوع وكثرة الغفلة عنه والمقام مقام شرح وبسط وبيان لهذه الكلمة العظيمة وما هذه التقسيمات والتفريعات المتعلقة

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٨٤).
(٢) انظر: بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود - ضمن الرسائل والمسائل النجدية، (٤/ ٣٥٧).

بهذه الكلمة إلا تحقيق لهذا الغرض.

ولا شك أن هذا غرض نبيل وقصد حسن ويغتفر ما يترتب على ذلك من التكرار فالأمر على كل حال يسير.

ودليل هذا الشرط ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من قال لا إله إلا اللَّه وكفر بما يعبد من دون اللَّه حرم ماله ودمه وحسابه على اللَّه**»(١).

(١) رواه مسلم (٢٣).

[شروط شهادة أن محمدا رسول اللَّه]

اعلم أنه لا يكون من شهد أن لا إله إلا اللَّه مؤمنا حتى يشهد أن محمدا رسول اللَّه، مع التزامه فيها جميع الشروط التي تقدمت مع أدلتها من الكتاب والسنة، وشروط شهادة أن محمدا رسول اللَّه:

الشرط الأول: العلم المنافي للجهل.

والمقصود بهذا الشرط: أن يعلم بقلبه أن محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب القرشي المكي ثم المدني: نبيٌّ ورسول من عند اللَّه إلى الناس.

ومن الأدلة على هذا الشرط قول اللَّه تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

[الزّخرُف: ٨٦] فالشهادة لا تكون شهادة إلا بالعلم بالمشهود به؛ لأن الإيمان بالشهادة والانقياد لها لا يتحقق إلا بعد العلم بمعناها، والجاهل بذلك لا تنفعه لجهله بما وُضعت له.

الشرط الثاني: التصديق الجازم المنافي للشك والريب.

والمقصود بهذَا الشرط أن يوقن القلب بمعناها يقيناً يزول معه الشك والريب، بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما بحيث لا يكون عرضة للشك والريب والموانع، مطمئنا بها قلبه علما وعملا، وهذا أعلى درجات التصديق.

ودليل هذا الشرط قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحُجرَات: ١٥] دلت الآية على أن الشك في أصل

الإيمان منافٍ الإيمان، وأنه لا بد في الإيمان من استيقان القلب، فلا إيمان لمن قالها شاكًّا مرتاباً.

ومن الأدلة على هذا الشرط من السنة أحاديث منها قول النبي ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه لا يلقى اللَّهَ بها عبدٌ غير شاكٍّ فيها إلا دخل الجنة**»(١)، ومنها قول النبي ﷺ لأبي هريرة: «**فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا اللَّه مستيقنا بها قلبُه فبشره بالجنة**»(٢).

وشهادة أن محمداً رسول اللَّه داخلة في شهادة أن لا إله إلا اللَّه والمعنى في الحديثين واحد، فاشترط النبي ﷺ في دخول قائلها الجنة

(١) رواه مسلم (٢٧).
(٢) رواه مسلم (٣١).

أن يكون مستيقنا بها قلبه غير شاكٍّ، ونفي الشك يفيد ثبوت اليقين، وثبوت اليقين يفيد نفي الشك، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

الشرط الثالث: أن يؤمن بعموم رسالة النبي ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس، وإلى العرب والعجم.

فلا إيمان لمن زعم أن رسالة النبي ﷺ خاصة بالعرب دون العجم، أو بالإنس دون الجن.

ودليل هذا الشرط قول اللَّه تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] وقول اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبإ: ٢٨] وقول اللَّه تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١] وقول اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقول

اللَّه تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] أي: للعرب وللعجم وللجن وللإنس، وقول اللَّه تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجنّ: ١-٢] وقول اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩﴾ [الأحقاف: ٢٩] ومن السنة قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»(١) وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم**

(١) رواه البخاري، (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[(١)].

الشرط الرابع: الإيمان بأن رسول اللَّه ﷺ بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وأكمل اللَّه به الدين.

قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣] فمن قال إن الدين فيه نقص أو أن الدين فيه زيادة أو أن الرسول ﷺ قصر في تبليغ الرسالة فليس بمؤمن، وقد شهد له الصحابة رضي الله عنهم شهدوا للنبي ﷺ بالبلاغ في حجة الوداع وأشهد اللَّهَ عليهم، ونحن نشهد له عليه الصلاة والسلام بالبلاغ المبين وأنه ترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومعلوم أنه قد بلَّغ

(١) رواه مسلم (١٥٣).

الرسالة كما أُمِر ولم يكتم شيئًا منها فإن كتمان ما أنزل اللَّه يناقض موجب الرسالة كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة ومن المعلوم في دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة، كما أنه معصوم من الكذب فيها)[١].

الشرط الخامس: الإيمان بأنه خاتم النبيين فلا نبي بعده.

ومن ادعى النبوة بعده عليه الصلاة والسلام فهو كاذب كافر، قال اللَّه تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وفي الصحيحين أنه ﷺ قال: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ**

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٥).

هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»[(١)]، وقال عليه الصلاة والسلام في حديث الدجال: «**إِنَّهُ يَبْدَأُ، فَيَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[(٢)]، وفي السنن من حديث ثوبان رضي الله عنه: «**وإنه يكون بعدي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي**»[(٣)] وقال عليه الصلاة والسلام: «**أعطيت ستا لم يعطهن أحد قبلي** - وذكر منها - **وخُتِمَ بِيَ النبيون**»[(٤)].

(١) رواه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٦٥).

(٣) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩).

(٤) رواه مسلم (٥٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الشرط السادس: الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق.

والمقصود بهذا الشرط أن يكون صادقًا في قولها بحيث يواطئ قلبه لسانه، والصدق ينافي النفاق؛ لأن المنافقين يقولونها لكن لم يطابق ما قالوه لما يعتقدونه، فصار قولهم كذبا بمخالفة الظاهر للباطن، فلا ينفعه مجرد اللفظ بدون مواطأة القلب.

من الأدلة على هذا الشرط:

قول اللَّه تعالى عن المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنَافِقون: ١]، **ومنها**: قول اللَّه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٨]، **ومنها**: قول اللَّه تعالى:

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]، **ومنها**: قول اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

ومن الأدلة على هذا الشرط من السنة قوله ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا رسول اللَّه صدقا من قلبه إلا حرمه اللَّه على النار**» أخرجه البخاري مسلم[(١)].

الشرط السابع: المحبة المنافية لعدمها، وبغضُ ما ناقض ذلك.

والمقصود بهذا الشرط المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها، وبغض ما ناقض ذلك.

وأصل هذه المحبة وأساسها: محبة اللَّه

(١) رواه البخاري (١٢٨) واللفظ له، ومسلم (٣٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

سبحانه، ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام تابعة لمحبة اللَّه، فإن هذه المحبة أصل التوحيد وروحه وعمدة الإسلام وعموده فمن لا محبة له لا توحيد له ولا إسلام ومن أحب اللَّه ورسوله أحب دين اللَّه، وما جاء به رسوله ﷺ ولا بد، ويتفرع عن هذه المحبة محبة المؤمنين والولاء لهم وبغض الكافرين والبراءة منهم.

والدليل على هذا الشرط:

قول اللَّه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥] ومحبة رسول اللَّه تابعة لمحبة اللَّه، **ومنها**: قول اللَّه تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ

فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]، **ومنها**: قول اللَّه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المَائدة: ٥٤]، **ومنها**: قول اللَّه تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجَادلة: ٢٢]. **ومنها**: في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده**

والناس أجمعين»[١]، **ومنها**: في الصحيح عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»[٢].

الشرط الثامن: القبول المنافي للرد - أي لرد مدلول شهادة أن محمدا رسول اللَّه -.

والمقصود بهذا الشرط أن يقبل ما دلت عليه الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة، من الالتزام بالإسلام كله أخبارا وأحكاما فيقابل الأخبار بالتصديق، ويقابل الأحكام بالالتزام، ولهذا لم تُدخِل في الإسلام شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين

(١) رواه مسلم (٤٤).

(٢) رواه البخاري (١٦، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣).

للنبي ﷺ بالرسالة وأنه صادق، لم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام؛ لأن الإسلام ليس هو المعرفة ولا المعرفة والإقرار فقط بل الإسلام المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعة النبي ﷺ ودينه ظاهرًا وباطنًا.

ومن الأدلة على هذا الشرط ما سبق في شرط الشهادة الأولى كلمة التوحيد وهي:

قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

ومنها: قول اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

[الأنفَال: ٧٤].

والانقياد لأحكام اللَّه وأخباره لا يتم إلا بالانقياد لأحكام الرسول ﷺ وأخباره.

ومنها: قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾

[الحُجرَات: ١٥].

ومنها: في الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مثل ما بعثني اللَّه به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير**»[1] الحديثَ، والشاهد قبول طائفة للماء فتنبت الكلأ والعشب الكثير.

(١) رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

الشرط التاسع: الانقياد المنافي للترك.

والمراد بذلك الانقياد لمعنى الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة المنافي لترك العمل بمقتضاها، فالمقصود بهذا الشرط الانقياد بما دلت عليه الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة من الإيمان بالنبي ﷺ وبما بعث به والإتيان بحقوقها ولوازمها من الولاء والبراء والعمل بشرائع الإسلام من أداء الواجبات وترك المحرمات، بل لا بد أن ينقاد جملة لشرع اللَّه لأن من ترك العمل بالشريعة فقد وقع في التولي وهو ضد الانقياد.

ومن الأدلة على هذا الشرط:

قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] والعروة الوثقى هي كلمة التوحيد فتدخل فيها الشهادة الثانية للنبي ﷺ بالرسالة.

ومنها: قول اللَّه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النُّور: ٤٧] فهذا هو التولي الكفري المنافي للانقياد الذي نفى اللَّه الإيمان عن أهله بقوله ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ فنفى اللَّه الإيمان عمن تولى بالعمل وإن كان قد أتى بالقول.

والخلاصة أن الانقياد بالعمل شرط في صحة شهادة أن محمدا رسول اللَّه، والانقياد بالعمل من حقوق شهادة أن لا إله إلا اللَّه كما أنه من حقوق شهادة أن محمدا رسول اللَّه ومقتضياتها، **وهو يشمل أمورا أربعة**:

الأول: تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به عن ربه.

الثاني: طاعته بامتثال ما أمر به من شرائع

الإسلام.

الثالث: الكف والانتهاء والاجتناب لما نهى عنه من المحارم والآثام.

الرابع: اتباع شريعته والتزام سنته فلا يعبد اللَّه إلا بما شرعه، فينقاد للعمل بشرع اللَّه في الجملة ولا يتنافى هذا مع حصول التقصير بترك بعض الواجبات وإنما يتنافى هذا بالترك الكامل فيمتنع أن يكون الرجل مؤمنا باللَّه ورسوله بقلبه أو بقلبه ولسانه ولم يؤد واجبا ظاهرا لا صلاة ولا زكاة ولا صياما ولا غير ذلك من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد ﷺ قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

هذه هي حقوق التوحيد والإيمان ومقتضياته وملزوماته من العبادات الواجبة أو المستحبة فلا

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٢١).

تصح إلا بالإخلاص للَّه والمتابعة لرسول اللَّه ﷺ ولا تصح العبادة واجبة أو مستحبة إلا بالإتيان بشهادة أن لا إله إلا اللَّه بشروطها التي سبقت، وإلا بالإتيان بشهادة أن محمدا رسول اللَّه بشروطها التي سبقت، وكذا ترك المحرمات لا بد فيها أن يكون الترك للَّه وعلى وفق ما شرعه رسول اللَّه ﷺ، فلا تصح العبادة واجبة أو مستحبة إلا بالتوحيد والإيمان، ولا يثاب على ترك المعاصي والمحرمات كبائر أو صغائر إلا بالتوحيد والإيمان.

التوحيد والإيمان كلٌّ لا يتجزأ:

فالإيمان لا يصح إلا بالتوحيد للَّه في ربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وألوهيته وعبادته.

ولا يصح الإيمان إلا بالإيمان بالملائكة، وأنهم أشخاص وذوات محسوسة تُرَى وتصعد وتنزل وتخاطب الرسول ﷺ وهم مخلوقون من نور كما ثبت ذلك في الحديث فنؤمن بهم إجمالا، ونؤمن بمن سمى اللَّه منهم في الكتاب أو سُمِّي في السنة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ورضوان ومنكر ونكير، ولا يعلم أسماءهم وعددهم إلا اللَّه سبحانه وتعالى، والإيمان بفضائلهم وأعمالهم ووظائفهم ومكانتهم عند اللَّه وأنهم لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ولا يصح الإيمان والتوحيد إلا بالإيمان

بالكتب المنزلة، وأن اللَّه أنزل كتبا على أنبيائه ورسله لهداية الناس لا يعلم أسماءها وعددها إلا اللَّه، فنؤمن بها إجمالا ونؤمن تفصيلا بما سمى اللَّه في كتابه بأعيانها وهي التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وصحف موسى.

ولا يصح التوحيد والإيمان إلا بالإيمان بالرسل، وأن اللَّه تعالى أرسل رسلا إلى الناس لدعوتهم إلى التوحيد والإيمان وتبشير المؤمنين الموحدين بالجنة والكرامة وإنذار الكفار بالنار والعذاب والإهانة، فلا يكون للناس حجة على اللَّه بعد ذلك كما قال اللَّه تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٦٥] فنؤمن بهم إجمالا، وأن اللَّه أرسل رسلا إلى الناس لهدايتهم لا يعلم

أسماءهم وعددهم إلا اللَّه، منهم من قصه اللَّه علينا، ومنهم من لم يقصصه علينا، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النِّسَاء: ١٦٤] ونؤمن بمن سمى اللَّه منهم أو سماهم رسوله ﷺ بأعيانهم كما قال اللَّه تعالى في سورة النساء ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النِّسَاء: ١٦٣-١٦٤] وقال تعالى في سورة الأنعام ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن

ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦] ويضاف إليهم هود وصالح وشعيب وإدريس ونبينا محمد صلى اللَّه عليه وعليهم أجمعين، وذو الكفل - على أحد القولين -.

ولا يصح التوحيد والإيمان إلا بالإيمان باليوم الآخر

وهو يوم القيامة، وسمي باليوم الآخر لأنه ليس بعده يوم، واليوم الأول هو الدنيا واليوم الآخر هو الآخرة، **ويشمل الإيمان باليوم الآخر ما يلي:**

أولاً: الإيمان ببعث الأجساد ودخول الأرواح فيها، فتدخل كل روح في جسدها بعد أن

يأمر اللَّه إسرافيل بالنفخ في الصور النفخة الثانية نفخة البعث، وقبلها النفخة الأولى وهي نفخة الصعق والموت، كما قال اللَّه تعالى في سورة الزمر ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٨].

ثانياً: الإيمان بما أخبر اللَّه به أو أخبر به رسوله ﷺ مما يكون في آخر الزمان، من أشراط الساعة الكبرى التي آخرها النار التي تسوق الناس إلى المحشر، والريحُ التي تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، ثم تقوم الساعة على الكفرة وذلك إذا أمر اللَّه إسرافيل بالنفخ في الصور النفخة الأولى وهي نفخة الصعق والموت، ثم بعدها النفخة الثانية وهي نفخة البعث.

ثالثاً: الإيمان بالبرزخ وما يكون بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه وتوسيع القبر وتضييقه وضمة القبر، وفتح باب إلى الجنة أو إلى النار، وسؤال الملكين الفتانين منكر ونكير، وتمثّل العمل بالرجل الحسن المنظر أو الرجل القبيح المنظر.

رابعاً: الإيمان بالحشر والنشر وأن اللَّه تعالى يبعث الخلائق ويحشرهم ويجمعهم في صعيد واحد.

خامساً: الإيمان بالحساب والوقوف بين يدي اللَّه تعالى، وأن اللَّه يجمع الخلائق في صعيد واحد للحساب حينما يخرجون من قبورهم حفاة لا نعال لهم، عراة لا ثياب عليهم، غرلا غير مختونين، فيحاسبهم على أعمالهم في وقت واحد، لا يلهيه شأن عن شأن ﷻ، ويفرغ من

حسابهم قدر منتصف النهار، ويقيل أهل الجنة في الجنة كما قال اللَّه تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفُرقان: ٢٤].

سادساً: الإيمان بالجزاء على الأعمال إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وإعطاء الصحف بالأيمان أو بالشمائل، كما قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧] وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨] فالمؤمنون يُعطَوْن صحفهم بأيمانهم، والكفار يُعطَوْن صحفهم بشمائلهم، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا

بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ [الحَاقَّة: ١٩-٣٧]

نسأل اللَّه السلامة والعافية.

سابعاً: الإيمان بالشفاعة، وهي أنواع منها:

الأولى: الشفاعة التي تكون في موقف القيامة وهي خاصة بنبينا محمد ﷺ، وهي التي يغبطه فيها الأولون والآخرون، وهي التي يتأخر عنها أولو العزم، وهي لإراحة الناس من الموقف بالحساب.

الثانية: الشفاعة في تخفيف العذاب عن أبي طالب، وهي خاص بنبينا ﷺ وبعمّه أبي طالب.

الثالثة: الشفاعة لأهل الجنة للإذن لهم في دخولها وهي خاصة بنبينا محمد ﷺ.

الرابعة: الشفاعة في رفع درجات قوم من أهل الجنة، وزيادة ثوابهم وهذه مشتركة، فليست خاصة بنبينا محمد ﷺ.

الخامسة: الشفاعة في قوم مؤمنين استحقوا دخول النار بكبائر ألا يدخلوها.

السادسة: الشفاعة في قوم من المؤمنين من أهل الكبائر دخلوا أن يخرجوا منها.

وهاتان الشفاعتان - الخامسة والسادسة - تواترت بهما الأخبار عن النبي ﷺ وأثبتهما أهل السنة والجماعة، وأنكرهما الخوارج والمعتزلة مع تواتر الأخبار فيهما.

هذه أنواع الشفاعة المثبتة التي دلت عليها النصوص، وهي لأهل التوحيد والإخلاص ما عدا الشفاعة العظمى فإنها في موقف القيامة لإراحة الخلق من موقف القيامة ليحاسب اللَّه الخلائق.

أما الشفاعة المنفية فهي التي تكون لأهل الشرك وقد نفاها القرآن قال اللَّه تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البَقَرَة: ١٢٣] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٤٨].

وأما الشفاعة المثبتة فإنها تكون لأهل التوحيد والإخلاص بشرطين:

الشرط الأول: إذن اللَّه للشافع كما قال اللَّه تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

الشرط الثاني: رضاه عن المشفوع له، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨].

وقال تعالى في الشرطين: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النّجم: ٢٦].

ثامناً: الإيمان بالميزان وأنه ميزان حسي له كفتان الكفة أعظم من أطباق السموات والأرض توزن فيهما الأعمال والأشخاص كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ

خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]

وفي الحديث الصحيح: «**يؤتى بالرجل العظيم السمين لا يزن عند اللَّه جناح بعوضة**»(١)

وخالفت المعتزلةُ أهلَ السنة فلم يؤمنوا بالميزان وقالوا: المراد بالميزان الميزان المعنوي وهو العدل، وقالوا: إن اللَّه تعالى لا يحتاج إلى الميزان، وإنما الذي يحتاج إلى الميزان البقال والفوال، أما اللَّه فلا يحتاج إلى الميزان، فردوا النصوص بعقولهم.

وهذا الميزان الحسي توزن فيه الأعمال والأشخاص، فمن ثقلت موازينه نجا وفاز، ومن خفت موازينه خسر وهلك، قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾

(١) رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦-١١]

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٤] نسأل اللّٰه السلامة والعافية.

تاسعاً: الإيمان بالحوض في موقف القيامة

وهو حوض نبينا محمد ﷺ طوله مسافة شهر وعرضه مسافة شهر وأوانيه عدد نجوم السماء يصب فيه ميزابان من نهر الكوثر في الجنة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا حتى يدخل الجنة.

ولكل نبي حوض ترد عليه أمته لكن حوض نبينا محمد ﷺ أعظمها وأوسعها وأكثرها واردا - جعلنا اللَّه منهم بمنه وكرمه - وبهذا جاءت الأحاديث.

عاشراً: الإيمان بالصراط وأنه صراط حسي منصوب على متن جهنم، يمر الناس على قدر أعمالهم، فأولهم كالبرق، ثم كالريح، ثم كأجاود الخيل والركاب، ثم الرجل يعدو عدوا ثم الرجل يمشي مشيا فناج مسلَّم وناج مخدوش ومكردس على وجهه في النار، وعلى الصراط كلاليب تخطف من أُمرت بخطفه.

ونبينا ﷺ قائم على الصراط يقول: «**اللَّهم سلِّم سلِّم**» بهذا جاءت الأحاديث[1]، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا

(١) رواه مسلم (١٩٥).

مَّقۡضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مَريَم: ٧١-٧٢].

الحادي عشر: الإيمان بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان الآن، لا تفنيان ولا تبيدان.

وخالف في ذلك المعتزلة وقالوا: إن الجنة والنار الآن عدم، وإنما تخلقان يوم القيامة، وقولهم باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة قال اللَّه تعالى عن الجنة ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣] وقال عن النار ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٤] وقد رأى النبي ﷺ الجنة والنار ليلة المعراج ورأى من يعذب فرأى الزناة والزواني يعذبون[1]، ورأى الجنة

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧)، ومسلم (١٦٣).

والنار في صلاة الكسوف[١]، وهذا كله يدل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن خلافا للمعتزلة.

فالجنة دار كرامة اللَّه ورحمته أعدها لأهل التوحيد والإيمان فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما ثبت بذلك الحديث الصحيح[٢].

وأعظم نعيم في الجنة يلقاه أهل الجنة هو رؤية اللَّه تبارك وتعالى وحلول رضوان اللَّه عليهم فلا يسخط عليهم أبدا - جعلنا اللَّه منهم بمنه وكرمه - قال اللَّه تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥]

(١) رواه مسلم (٩٠٤) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما.
(٢) رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ [النِّسَاء: ٥٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٣١﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

والجنة درجات، كل درجة عليا أعظم نعيما من الدرجة التي تحتها والفردوس أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن[١] - جعلنا

(١) رواه البخاري (٧٤٢٣).

اللَّه من أهلها بمنه وكرمه -.

والنار دار عدل اللَّه وحكمته، أعدها اللَّه لأهل الشرك والكفر والجحود والنفاق، فيها العذاب السرمدي، وفيها الأغلال والسلاسل والحميم والغساق، وكل دركة سفلى أشد عذابا من الدركة التي فوقها؛ لأن النار دركات كما أن الجنة درجات، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١٤٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النِّسَاء: ٥٦] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ

ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾﴾ [فَاطِر: ٣٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البُرُوج: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البَلَد: ١٩-٢٠] وقال تعالى: ﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ﴿٩﴾﴾ [الهُمَزة: ٤-٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النَّبَإ: ٢١-٢٦].

❖ ❖ ❖

ولا يصح التوحيد والإيمان إلا بالإيمان بالقدر خيره وشره.

والإيمان بالقدر له أربع مراتب لا بد من الإيمان بها كلها، فمن لم يؤمن بواحدة منها لم يصح إيمانه بالقدر، وهي: العلم والكتابة والمشيئة والخلق.

المرتبة الأولى: مرتبة العلم.

وهي الإيمان بأن اللَّه علم الأشياء قبل كونها في الأزل الذي لا بداية له، الذوات والصفات والأفعال والحركات والسكنات، وكل ما يسمى شيئا فإن اللَّه قد أحاط به علمه في السموات أو في الأرض أو في ظلمات البر أو في ظلمات البحر، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزَاب: ٤٠] وقال تعالى:

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطَّلَاق: ١٢].

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة.

وهي الإيمان بأن اللَّه كتب كل شيء مما يكون من المقادير إلى يوم القيامة كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ من الذوات والصفات والأفعال والحركات والسكنات في البر أو البحر أو الجو كتب اللَّه ذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**كتب اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»[(١)]

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وقال اللَّه تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] والكتاب المبين هو اللوح المحفوظ فهذه الآية الكريمة فيها إحاطة علم اللَّه بكل شيء وكتابة كل شيء في اللوح المحفوظ فقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢] وهو اللوح المحفوظ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وفي الحديث الصحيح «**وكتب في الذكر كل شيء**»[(١)] الذكر هو اللوح المحفوظ وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ

(١) رواه البخاري (٣١٩١).

إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢] وهو اللوح المحفوظ وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢] والكتاب هو اللوح المحفوظ.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة والإرادة.

وهي الإيمان بأن كل ما يقع في الكون وفي الوجود فقد سبقت به مشيئة اللَّه وإرادته الكونية فلا يقع في ملك اللَّه إلا ما شاءه وأراده وقضاه وقدره من خير أو شر ومشيئة العبد وإرادته تابعة لمشيئة اللَّه وإرادته قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ

أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هُود: ٣٤] وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعَام: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسَان: ٢٩-٣١] وقال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعَام: ٣٩].

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق والإيجاد.

وهي الإيمان بأن اللَّه أوجد هذه المخلوقات وخلقها من العدم، وهو الخالق وغيره مخلوق، كما أنه الرب وغيره مربوب، كما أنه المالك وغيره مملوك، كما أنه المدبِّر وغيره مدبَّر، قال اللَّه تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزُّمَر: ٦٢] وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾ [الفُرقان: ٢] وقال تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥﴾ [الطُّور: ٣٥] وقال تعالى مخاطبا الكفار الذين عبدوا آلهتهم من دون اللَّه ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤﴾ [الأحقاف: ٤] وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ

ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٨-٥٩] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

* * *

وأما المعاملات كالبيع والشراء والإجارة والمساقاة والمزارعة وغيرها من العقود، فلا يشترط فيها ما يشترط للعبادة من التوحيد والإخلاص للَّه والمتابعة لرسول اللَّه ﷺ، وإنما يشترط أن توجد وتتوفر الشروط التي دلت النصوص على اشتراطها لصحة العقد والمعاملة، ولو كان العقد مع غير مسلم إذا لم يكن حربيا للمسلمين، بأن يكون ذميا أو معاهَدًا أو مستأمِنًا، فإن النبي ﷺ عامل أهل خيبر وهم من اليهود؛ مساقاة ومزارعة على شطر ما يخرج منها

من ثمر أو زرع وقال: «**نقركم على ذلك ما شئنا**»[(١)] حتى أجلاهم عمر رضي الله عنه إلى تيماء وثبت أن النبي ﷺ اشترى غنمًا من مشرك[(٢)] وتوفي عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير لأهله عليه الصلاة والسلام[(٣)].

(١) رواه البخاري (٢٣٣٨، ٣١٥٢)، ومسلم (١٥٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) رواه البخاري (٢٢١٦)، ومسلم (٢٠٥٦) من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما.
(٣) رواه البخاري (٢٩١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مسألة: أهل التوحيد الحق ثلاثة أصناف

السابقون المقربون، والمقتصدون أصحاب اليمين، والظالمون لأنفسهم، وكلهم أورثهم اللَّه الكتاب، وكلهم من أهل الجنة بشرط الموت على التوحيد.

الصنف الأول: السابقون المقربون.

وهم الذين وحدوا اللَّه وتقربوا إلى اللَّه بفعل الواجبات والمأمورات ثم تقربوا إلى اللَّه بفعل المندوبات والمستحبات وتقربوا إلى اللَّه بترك المحرمات والمنهيات ثم تقربوا إلى اللَّه بترك المكروهات وبترك فضول المباحات.

الصنف الثاني: المقتصدون أصحاب اليمين.

وهم الذين وحدوا اللَّه وتقربوا إلى اللَّه

بفعل الواجبات والمأمورات وتقربوا إلى اللَّه بترك المحرمات والمنهيات، لكن لم يكن عندهم نشاط بفعل المندوبات والمستحبات فلم يفعلوها، ولم يكن عندهم نشاط بترك المكروهات، وفضول المباحات ففعلوها.

فهذان الصنفان وهما السابقون المقربون والمقتصدون أصحاب اليمين يدخلون الجنة ابتداء من أول وهلة من غير تأخير فضلا من اللَّه تعالى وإحسانا إذا ماتوا على التوحيد والإيمان غير مغيرين ولا مبدلين، لأنهم أدوا ما أوجب اللَّه عليهم وتركوا ما حرم اللَّه عليهم.

الصنف الثالث: الظالمون لأنفسهم.

وهم الذين وحدوا اللَّه وأخلصوا له العبادة وتقربوا إلى اللَّه بفعل الواجبات والمأمورات وتقربوا إلى اللَّه بترك المحرمات والمنهيات لكن

قصروا فظلموا أنفسهم بترك بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات وماتوا على ذلك من غير توبة، وهؤلاء من أهل الجنة ومآلهم إليها لكن قد يتأخر دخولهم الجنة بسبب تقصيرهم في فعل بعض المحرمات، أو بتركهم بعض الواجبات، وهؤلاء أقسام، وكلهم تحت مشيئة اللَّه:

منهم من يعفو اللَّه عنه ثم يدخله الجنة قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء: ٤٨].

ومنهم من يعذب في قبره كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الرجلين اللذين مر بهما النبي ﷺ فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين وغرز في كل قبر**

واحدة وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»[(١)].

ومنهم من تصيبه أهوال وشدائد في موقف القيامة.

ومنهم من يستحق دخول النار فيُشفّع اللَّه فيه الشفعاء فلا يدخل النار.

ومنهم من يدخل النار ويعذب فيها مدة.

ومنهم من يطول مكثه بسبب كثرة جرائمه ومعاصيه أو غلظها وفحشها، كالقاتل، أخبر اللَّه تعالى أنه يخلد فيها كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النِّسَاء: ٩٣] والخلود هو المكث الطويل، **والخلود خلودان:**

خلود لا نهاية له وهو خلود الكفرة.

وخلود له نهاية وهو خلود بعض العصاة

(١) رواه البخاري (٢١٨، ١٣٦١، ١٣٧٨)، ومسلم (٢٩٢).

الموحدين كالقاتل، وقد تواترت بذلك الأخبار عن النبي ﷺ أنه يدخل النار جملة من أهل الكبائر الموحدين الذين أضعفوا توحيدهم بارتكاب الكبائر وماتوا على ذلك من غير توبة فيُشفّع اللَّه فيهم الشفعاء من الأنبياء والصالحين والملائكة والأفراط فيقبل اللَّه شفاعتهم ويخرجهم من النار، ويَشْفَعُ فيهم نبينا محمد ﷺ أربع شفاعات فيحد اللَّه له حدا بالعلامة فيخرجهم من النار، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة فيخرجهم رب العالمين برحمته فيقول الرب سبحانه كما في الحديث: «**شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**»[1] يعني: زيادة

(١) رواه مسلم (١٨٣).

على التوحيد والإيمان، وثبت في الأحاديث الصحيحة أن هؤلاء العصاة الموحدين يخرجون من النار ضبائر ضبائر قد امتحشوا وصاروا فحما، فيُلقون في نهر الحياة فإذا هُذبوا ونُقوا أُذِن لهم في دخول الجنة(١)، وهؤلاء هم عتقاء اللَّه من النار(٢)، فإذا تكامل خروج العصاة الموحدين من النار ولم يبق منهم أحد أُطبقت النار على الكفرة بجميع أصنافهم فلا يخرجون منها أبد الآباد، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار عياذا باللَّه من النار قال اللَّه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧] وقال

(١) رواه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٥)، وهذا لفظ مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧] وقال تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣﴾ [النبإ: ٢٣] وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧﴾ [الإسراء: ٩٧] وقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥﴾ [الأحزاب: ٦٥] وقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾ [هود: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦﴾ [النساء: ٥٦] نسأل الله السلامة والعافية ونسأله أن يجيرنا من النار.

فضل كلمة التوحيد لا إله إلا اللَّه

قد عُلم بالاضطرار أن شهادةَ التوحيد مفتاحُ الإسلام وأصلُ الدين وعمدةُ الملة، فلا إسلام لمن لم يأت بها اعتقادا وقولا وعملا، ولا شك أن هذا لا يتحقق إلا بعد العلم بمعناها فإن ترتب هذا على هذا ترتب البناء على الأساس والفرع على الأصل، إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وعليه فمن لم يعلم معناها ويتصوره فهو كالهاذي أو النائم الذي لا يعقل ما يقول، وأما مجرد اللفظ فهذا لا يفيد العبد شيئًا، ولا يخلّصه من شعب الشرك وفروعه[1].

إن فضل «لا إله إلا اللَّه» شيء لا يحيط به

(١) انظر مصباح الظلام (١٦١).

فكر، ولا يحصيه قلم، ومهما قيل عنها فهو غيظ من فيض، بل نقطة من بحر، فهي أصل الملة وأول الواجبات وأوجب المأمورات، وكيف لا تكون كذلك وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات، وفطر اللَّه عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة ورسمت القبلة وجردت سيوف الجهاد، وهي محض حق اللَّه على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به، والحبل الذي لا يصل إلى اللَّه من لم يتعلق بسببه، وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإسلام، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء

والهوان، وهي العمود الكامل للفرض والسنة، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة[١]، انتهى كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[٢].

لا إله إلا اللَّه هي الكلمة التي أرسل اللَّه بها رسله، وأنزل بها كتبه، ومن أجلها خلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار، وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وعليها أخذ اللَّه الميثاق، وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنها السؤال يوم التلاق، وهي كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه، ورأس أمره وساق شجرته، وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، متشعبة منها، مكملة لها، مقيدة

(١) رواه أبو داود (٣١١٦) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: الداء والدواء (٣٠١).

بالتزام معناها، والعمل بمقتضاها، ذكر هذا الشيخ حافظ حكمي[١].

ويكفي أنها الشهادة العظمى، وأيُّ شهادة أعظم من الشهادة التي شهد اللَّه بها لنفسه، قال اللَّه تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٨][٢] وقد جاءت آيات في الكتاب العزيز وسنة رسول اللَّه ﷺ مبينة عن عظيم فضلها وشريف مكانتها.

● **فضل كلمة التوحيد في القرآن:**

أولاً: أنها كلمة اللَّه العليا الواردة في قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ﴾ [التوبَة: ٤٠] في قول ابن عباس وكثير من المفسرين.

---

(١) معارج القبول (١/ ٣٠١).

(٢) الدرر السنية (٢/ ٢١٢).

ثانياً: أنها دعوة الحق في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرّعد: ١٤] قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم.

ثالثاً: أنها الكلمة الطيبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤] قاله ابن عباس وكثير من المفسرين.

رابعاً: أنها القول الثابت في قول اللَّه تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧] قاله كثير من المفسرين.

خامساً: أنها كلمة التقوى في قول اللَّه تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفَتْح: ٢٦] قاله جمهور المفسرين.

سادساً: أنها الحسنة في قول اللَّه تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النَّمل: ٨٩] قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وطائفة من السلف.

سابعاً: أنها النعم الظاهرة والباطنة في قول اللَّه تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمَان: ٢٠] قاله ابن عباس ومجاهد وبعض السلف، والمعنى أنها تدخل دخولا أوليا في النعم الظاهرة والباطنة.

ثامناً: أنها العروة الوثقى في قول اللَّه تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] قاله سعيد بن جبير والضحاك.

تاسعاً: أنها القول الأحسن في قول اللَّه تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾

[الإسرَاء: ٥٣] قاله بعض المفسرين، أي أنها تدخل دخولا أوليا في القول الأحسن.

عاشراً: أنها الحسنى في قول اللَّه تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليْل: ٦] قاله بعض السلف.

الحادي عشر: أنها من الباقيات الصالحات في قول اللَّه تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝٤٦﴾ [الكهف: ٤٦] قاله بعض السلف.

الثاني عشر: أنها الكلمة الباقية التي جعلها إبراهيم عليه الصلاة والسلام في عقبه في قول اللَّه تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [الزّخرُف: ٢٨] قاله بعض السلف وبعض المفسرين.

الثالث عشر: أنها الحق في قول اللَّه تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزّخرُف: ٨٦] قاله بعض المفسرين.

الرابع عشر: أنها المثل الأعلى في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الرُّوم: ٢٧] قاله مجاهد وقتادة واختاره ابن جرير، وقيل المثل الأعلى الوصف الكامل.

الخامس عشر: أنها الكلمة التي هي أقوم في قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسرَاء: ٩] قاله بعض المفسرين.

السادس عشر: أنها العدل في قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النّحل: ٩٠] قاله ابن عباس.

السابع عشر: أنها العهد في قول اللَّه تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مَريَم: ٨٧] قاله ابن عباس وغيره.

الثامن عشر: أنها الدين الخالص في قول اللَّه تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣] قاله قتادة وبعض المفسرين.

التاسع عشر: أنها القول الصواب في قول اللَّه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النَّبَإِ: ٣٨] قاله ابن عباس وعكرمة وبعض المفسرين.

العشرون: أنها الكَلِم الطيب في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠] قاله ابن عباس وبعض المفسرين.

الحادي والعشرون: أنها الطيب من القول في قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحَجّ: ٢٤] قاله ابن عباس وبعض السلف واختاره ابن جرير.

الثاني والعشرون: أنها الكتاب الذي أورثه

اللَّه الذين اصطفى من عباده في قوله اللَّه تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ [فَاطِر: ٣٢] قاله بعض السلف كقتادة، والمعنى أنه أعظم ما اشتمل عليها الكتاب.

الثالث والعشرون: أنها الصدق في قول اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ [الزُّمَر: ٣٣] قاله ابن عباس.

الرابع والعشرون: أنها الدين الواصب في قول اللَّه تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ [النّحل: ٥٢] قاله عكرمة.

الخامس والعشرون: أنها الكلمة السواء أي: العدل، في قول اللَّه تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عِمرَان: ٦٤] قاله بعض المفسرين.

السادس والعشرون: أنها القول السديد، في

قول اللَّه تعالى: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠] قاله ابن عباس وعكرمة وبعض المفسرين.

● **فضل كلمة التوحيد في سنة رسول اللَّه ﷺ**

أولاً: كلمة التوحيد أول أركان الإسلام، وأرفع مقامات الدين، وأصل أصوله، قال عليه الصلاة والسلام: «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت اللَّه الحرام**» رواه الشيخان من حديث عبداللَّه ابن عمر رضي الله عنهما[(١)].

ثانياً: أنها أعلى شعب الإيمان وأفضلها، قال عليه الصلاة والسلام «**الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة فأعلاها أو أفضلها قول لا إله إلا اللَّه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق،**

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه الشيخان[١].

ثالثاً: أن صاحبها أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا اللَّه خالصًا من قلبه أو نفسه**» أخرجه البخاري[٢].

رابعاً: أنها أول ما يؤمر به من الدين، قال عليه الصلاة والسلام «**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه**» أخرجه الشيخان[٣]، وفي رواية لهما: «**ليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة اللَّه** ﷻ»[٤]، وفي رواية للبخاري: «**فليكن أول ما**

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري (٩٩).
(٣) رواه البخاري (٤٣٤٧، ٧٣٧١)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

تدعوهم إلى أن يوحدوا اللَّه تعالى»[(١)].

خامساً: أنها سبب الفلاح قال عليه الصلاة والسلام «**قولوا لا إله إلا اللَّه تفلحوا**»[(٢)].

سادساً: أنها سبب عصمة الدم والمال قال عليه الصلاة والسلام: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللَّه**»[(٣)] وفي رواية: «**ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**» أخرجه الشيخان في كتاب الإيمان من صحيحيهما[(٤)].

سابعاً: أنها أفضل الذكر وخير الدعاء

(١) رواه البخاري (٧٣٧٢).
(٢) رواه أحمد في المسند (١٦٦٠٣) من حديث ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه.
(٣) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢١).
(٤) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

والقول، قال ﷺ «**خير الدعاء دعاء عرفة، وخير ما قلت أو أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات(١).

ثامناً: أنها سبب مغفرة الذنوب قال عليه الصلاة والسلام «**ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه يرجع ذلك إلى قلب موقنٍ إلا غفر اللَّه لها**» أخرجه أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه(٢).

تاسعاً: أنها سبب تثقيل الميزان، كما في حديث البطاقة «**في الرجل الذي ينشر عليه تسعة وتسعون سجلا سيئات، كل سجل مثل مد البصر، فتوضع السجلات في كفة، وبطاقة**

(١) رواه الترمذي (٣٥٨٥).
(٢) رواه ابن ماجه (٣٧٩٦)، وأحمد (٢١٩٩٨).

الشهادة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»[(١)] أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد في مسنده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإن قالها - أي كلمة التوحيد - على وجه خلُص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأتِ بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فيرجح بها ميزان الحسنات كما في حديث البطاقة)[(٢)].

عاشراً: أنها سبب دخول الجنة قال عليه الصلاة والسلام: «**أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه لا يلقى اللَّهَ بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة**» أخرجه مسلم[(٣)]، وقال عليه

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٦٩٩٤).
(٢) انظر: تفسير آيات أشكلت (١/ ٣٦١).
(٣) رواه مسلم (٢٧).

الصلاة والسلام لأبي هريرة: «**فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا اللَّه مستيقنًا بها قلبُه فبشره بالجنة**» أخرجه مسلم(١)، وقال عليه الصلاة والسلام «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**» أخرجه مسلم(٢).

الحادي عشر: أنها سبب النجاة من النار قال عليه الصلاة والسلام «**لن يوافي عبد يوم القيامة لا إله إلا اللَّه يبتغي بها وجه اللَّه إلا حرم اللَّه عليه النار**» أخرجه البخاري من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه(٣)، وفي رواية: «**فإن اللَّه حرم على النار من قال لا إله إلا اللَّه يبتغي بذلك وجه اللَّه**» أخرجه مسلم من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه(٤)، وقال

(١) رواه مسلم (٣١).
(٢) رواه مسلم (٢٦).
(٣) رواه البخاري (٦٤٢٢).
(٤) رواه البخاري (٥٤٠١)، ومسلم (٣٣).

عليه الصلاة والسلام «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه صدقًا من قلبه إلا حرمه اللَّه على النار**» أخرجه البخاري في كتاب العلم[١].

(١) رواه البخاري (١٢٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

مسألة مهمة في الجمع بين الأحاديث في أهل التوحيد والإخلاص[١]

جاءت النصوص والأحاديث التي تدل على دخول أهل التوحيد أهل لا إله إلا اللَّه الجنة ونجاتهم من النار، وجاءت نصوص أخرى تدل على أن من أهل التوحيد من عصاة المسلمين من يدخل النار، والجمع بينهما هو أن من أتى بكلمة الإخلاص لا إله إلا اللَّه مع القيام بحقوقها ولوازمها، ولم يصر على كبيرة ومات على ذلك فهو من أهل الجنة الناجين من دخول النار برحمة اللَّه، ومن قصَّر في أداء حقوقها

(١) انظر الرسالة القيمة: شهادة أن لا إله إلا اللَّه إعداد الدكتور: صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي.

بترك بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات، أو أصر على كبيرة من غير توبة فهو تحت مشيئة اللَّه، كما قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] فهو بين عفو اللَّه وعقوبته، فإن شاء اللَّه العفو عنه فهو من أهل الجنة ابتداء، وإن شاء اللَّه تعذيبه بالنار على سيئاته فمآله إلى الجنة.

والخلاصة أن أهل التوحيد أهل لا إله إلا اللَّه في الجنة قطعًا إما ابتداء وإما مآلا، وهم ناجون إما من دخول النار وإما من الخلود فيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فهذه الأحاديث «أن من قال لا إله إلا اللَّه دخل الجنة» و«حرمه اللَّه على النار» إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة، فإنه قد تواترت الأخبار بأنه يخرج من النار من قال لا

إله إلا اللَّه وكان في قلبه ما يزن شَعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة، بل كثير ممن يقول لا إله إلا اللَّه يدخل النار، أو أكثرهم ثم يخرج منها، وتواترت الأحاديث بأنه يحرم على النار من قال لا إله إلا اللَّه ومن شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، ولكنها جاءت مقيدة بالإخلاص واليقين وبموت عليها وكلها مقيدة بهذه القيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه من أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، فالذي قالها بيقين وصدق تام إما ألا يكون مصرًّا على سيئة أصلا، أو يكون توحيده متضمن لصدقه ويقينه رجَّح حسناته، والذين دخلوا النار قد فات فيهم أحد الشرطين:

إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التام المنافي للسيئات، أو لرجحانها على الحسنات.

أو قالوها واكتسبوا سيئاتٍ رجحت على حسناتهم، فضعف لذلك صدقهم ويقينهم فلم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين يمحوا سيئاتهم أو يرجح حسناتهم)[١].

(١) انظر: تفسير آيات أشكلت (١/ ٣٦١).

المعنى الصحيح لكلمة التوحيد العظيمة: «لا إله إلا اللَّه»

الحق الذي لا ريب فيه أن معنى هذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا اللَّه»: لا معبود حق إلا اللَّه، هذا هو المعنى المتعين، والمراد: البراءة مما يُعبد من دون اللَّه، وإفراد اللَّه بالعبادة، وهذا النفي والإثبات هو حقيقة الكفرِ بالطاغوت والإيمانِ باللَّه الذي جاء في قول اللَّه تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] فشطر كلمة التوحيد الأول هو الكفر بالطاغوت، وشطرها الثاني هو الإيمان باللَّه.

وهذا الفهم الصواب لكلمة التوحيد «لا إله

إلا اللَّه» مبني على حسن الفهم لأمرين:

الأول: معنى «الإله».

الثاني: خبر «لا» المقدَّر.

وقد تجلى وظهر أن معنى الإله: المعبود، وأن خبر "لا" المقدر: حق، و"لا" هي النافية للجنس العاملة عمل إنَّ، ومعنى كونها نافية للجنس أنها تنفي الحكم عن كل فرد من أفراد جنس الشيء الذي دخلت عليه على سبيل التنصيص لا على سبيل الاحتمال قاله ابن هشام[1]، وتسمى أيضًا "لا" التبرئة؛ لأنها تدل على تبرئة جنس اسمها كله من معنى غيرها.

وأما كونها تعمل عمل إنَّ أي: تنصب الاسم وترفع الخبر، فشرطه أن يكون اسمها وخبرها نكرتين؛ لأن "لا" تنفي نفيًا عامًّا

(١) انظر: شرح شذور الذهب لابن هشام (ص ٢٧٢).

مستغرقًا، فلا يكون بعدها معيَّن.

وإله اسم "لا" مبني على الفتح في محل نصب.

والصواب الذي عليه أكثر علماء العربية أن الخبر محذوف على القاعدة في خبر "لا" إذا علم، وذلك عند الحجازيين والتميميين والطائيين، قال ابن هشام: (وقد كثر حذف خبر "لا" هذه حتى قيل إنه لا يذكر)[١].

ولا يكون خبر "لا" الاسم المعظَّم اللَّه كما قاله بعضهم، فهذا غير صحيح، قال ابن هشام: (ويرده أنها - أي: "لا" - لا تعمل إلا في نكرة منفية)[٢].

واسم اللَّه تعالى أعرف المعارف غنِيٌّ عن

(١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص ٨٢٦).
(٢) انظر: المرجع السابق (ص ٧٤٥).

التعريف، قاله سيبويه[١].

فالصحيح أن خبر "لا" مقدَّر، تقديره: حق، أو بحق، فيكون معنى "لا إله إلا اللَّه" لا معبود حق أو بحق إلا اللَّه هذا هو التقدير الصواب الذي لا يصح غيره، وهو الذي دل عليه كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

وأما تقدير الخبر: موجود، أو في الوجود - لا إله موجود أو في الوجود إلا اللَّه - فهذا باطل من وجهين:

أحدهما: أنه يوهم معنى باطلا وهو الاتحاد، فإن الإله هو المعبود، فإذا قيل: لا معبود موجود إلا اللَّه لزم منه أن كل معبود عُبِد بحق أو باطل هو اللَّه، وهذا أعظم الكفر وأقبحه

(١) انظر: رسالة معنى لا إله إلا اللَّه، لبدر الدين الزركشي (١/١٠٦).

على الإطلاق؛ إذ فيه إبطال لرسالات جميع الرسل، وكفر بجميع الكتب، وجحود لجميع الشرائع، وتزكية لكل كافر، فلم يكن عندهم مشركًا، بل موحدا - تعالى اللَّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا -، وهذا يلتزمه أهل الحلول والاتحاد.

الثاني: أن هذا التقدير فيه مخالفة للواقع، وإنكار حقيقة لا تجحد، وهي وجود آلهة تعبد مع اللَّه.

و"إلا" أداة استثناء وهي حرف باتفاق.

وأما اسم الجلالة اللَّه بعد "إلا" فهو مرفوع ولم يأت في القرآن غير الرفع، بل لم تأت كلمة التوحيد في كتاب اللَّه بنصب الاسم بعد "لا" حتى ولا في قراءة شاذة، فالصواب أنه مرفوع لا منصوب، والصحيح أنه بدل لا خبر، وهو

المشهور الجاري على ألسنة المعربين، فهو بدل من الضمير المستكنِّ أي: المستتر في الخبر المحذوف، اختاره أبو حيان[١]، والشيخ محمد ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في القول المفيد على كتاب التوحيد[٢] وغيرهما.

ومعنى أشهد أن لا إله إلا اللَّه إخبار عما تعلمه النفس وتتيقنه قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: أنطق بما أعلمه وأتحققه)[٣]، وقال البعلي في المطلع: (بمعنى: أخبر بأني قاطع بالوحدانية)[٤]، وقال الشيخ تبن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير (٢/ ٧٥)، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (٨/ ٢٠٢).

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٥٧).

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٨٧).

(٤) المطلع على ألفاظ المقنع (ص ١٠٢)، وانظر: الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، لابن المِبْرَد (٢/ ٢١١)، =

معناها: (أنطق بلساني معبرا عما يكنه قلبي من اليقين، وهو أنه لا إله إلا اللَّه)[١].

= والروض المربع، للبُهُوتي (١/ ٩٣)، وكشف اللثام شرح عمدة الأحكام، للسفاريني (٢/ ٥٧٩).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٥٩).

أخطاء مشهورة في تفسير كلمة التوحيد

■ **مسألة مهمة:** في ثلاثة أخطاء مشهورة في تفسير كلمة التوحيد لا إله إلا اللَّه، والخطأ في تفسير الإله:

الخطأ الأول: أن معنى لا إله إلا اللَّه: لا قادر على الاختراع إلا اللَّه، وهذا تفسير كثير من المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم من الصوفية ومن وافقهم، قال عبد القاهر البغدادي: «واختلف أصحابنا في معنى الإله فمنهم من قال إنه مشتق من الإلهية وهي قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري»[(١)]، ونقل الشهرستاني عن الأشعري أيضا أن أخص

(١) أصول الدين، للبغدادي (ص: ١٢٣).

وصف الإله هو القدرة على الاختراع فلا يشركه فيه غيره، ومن أثبت فيه شركة فقد أثبت إلاهين[١]، وقال البيهقي في كتابه الاعتقاد: «اللَّه معناه: من له الإلهية، وهي القدرة على اختراع الأعيان، وهذه صفة يستحقها بذاته»[٢].

الخطأ الثاني: أن معنى لا إله إلا اللَّه: لا مستغنيًا عن كل ما سواه ومفتقرا إليه من عداه إلا اللَّه، جاء في متن أم إبراهيم السنوسية: «معنى الألوهية: استغناء الإله عن كل ما سواه، وافتقار كل ما عداه إليه» واستظهر السنوسي في شرحه أن هذا هو المعنى الأقرب للإله[٣].

الخطأ الثالث: أن معنى لا إله إلا اللَّه إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١٠٠).
(٢) الاعتقاد، للبيهقي (ص: ٥٩).
(٣) العقيدة السنوسية (ص: ٤٥).

وإدخال اليقين الصحيح على ذات اللَّه، أنه لا خالق إلا اللَّه ولا رازق إلا اللَّه ولا مدبر إلا اللَّه، وهذا هو التفسير المشهور لدى جماعة الدعوة والتبليغ.

وهذه التفاسير الثلاثة لمعنى الإله في كلمة التوحيد «لا إله إلا اللَّه» تتفق على جعل مدلول شهادة التوحيد: توحيد الربوبية، لا توحيد الألوهية، وهذا ما ذهب إليه كثير من المتكلمين من الأشعرية والصوفية ومن وافقهم، **وهذا تفسير باطل من وجوه:**

أحدها: أن هذا قول مبتدَع لا يُعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة.

الثاني: أن هذا تفسير باللازم للإله الحق، فإن اللازم له أن يكون خالقًا قادرا على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك فليس بإله حق وإن سمي إلهًا.

الثالث: مخالفة القرآن الكريم، وذلك أن الإله إنما ورد فيه بمعنى المعبود، لا بمعنى الخالق أو القادر أو الرازق أو المدبر، لقول اللَّه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحَجّ: ٦٢] ولقول اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [الأنبيَاء: ٢٥]، وما أخبر اللَّه أن كل نبي قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعرَاف: ٥٩]ولقول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طٰـه: ١٤] ولقول اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [التّوبَة: ٣١] ولقول اللَّه تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾ [الأنبيَاء: ٢٢].

الرابع: لو كان معنى لا إله إلا اللَّه لا خالق أو لا قادر أو لا رازق أو لا مدبر إلا اللَّه لم يكن بين رسول اللَّه ﷺ وبين المشركين نزاع؛ لأنهم يقرون بذلك.

الخامس: أن هذا التفسير لا يتحقق به إلا توحيد الربوبية فقط، ومعلوم أن توحيد الربوبية وحده لا يُدخل الإنسان في الإسلام، ولو كان يُدخله في الإسلام ويعصم ماله ودمه لكان المشركون الذين بُعث فيهم النبي ﷺ مسلمين لا تحل دماؤهم ولا أموالهم ولا نساؤهم ولا ذراريهم ولا تورث أرضهم.

والواجب على من فسر كلمة التوحيد بأحد هذه التفاسير الثلاثة أن يتوب إلى اللَّه تعالى من هذا التفسير الفاسد، وأن يرجع إلى التفسير الصحيح الذي اتفق عليه المسلمون وفهمه الناس

من هذه الكلمة العظيمة، حتى المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ، وأن يقر ويعترف بأن توحيد الربوبية شيء، وتوحيد الألوهية شيء آخر ولا يتم أحدهما بدون الآخر.

نسأل اللَّه أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، والفهم الصحيح لكتابه ولسنة نبيه ﷺ، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، وأن يثبتنا على دينه القويم وصراطه المستقيم - كتابَ اللَّه وسنةَ نبيه ﷺ -، وأن يتوفانا على التوحيد والإسلام والسنة غير مغيِّرين ولا مبدِّلين، وأن يجعلنا ممن شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه بالصدق واليقين التام المنافي للسيئات، والإصرار على الكبائر والموبقات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

الفقير إلى عفو اللَّه ومغفرته ورحمته

عبد العزيز بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن الراجحي

ظهر يوم الجمعة غرة رمضان عام ألف وأربعمائة وواحد وأربعين

من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
● مقدمة المؤلف:	٥
- تعريف التوحيد وأنواعه:	٨
- معنى التوحيد الحق:	٨
- حقوق ومقتضيات التوحيد الحق:	١٠
● الشهادتان وشروطهما	
- **أولًا: شروط (شهادة أن لا إله إلا اللَّه) وأدلتها:**	١٧
الشرط الأول: العلم المنافي للجهل:	١٧
الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك:	١٩
الشرط الثالث: الإخلاص المنافي للشرك:	٢١
الشرط الرابع: الصدق المنافي للكذب:	٢٤
الشرط الخامس: المحبة المنافية لعدمها:	٢٦
الشرط السادس: القبول المنافي للرد:	٢٩
الشرط السابع: الانقياد المنافي للترك:	٣٢
الشرط الثامن: الكفر بما يعبد من دون اللَّه:	٣٦
- **ثانيًا: شروط شهادة (أن محمدًا رسول اللَّه) وأدلتها:**	٣٩
الشرط الأول: العلم المنافي للجهل:	٣٩
الشرط الثاني: التصديق الجازم المنافي للشك والريب:	٤٠
الشرط الثالث: الإيمان بعموم رسالة النبي ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس وإلى العرب والعجم:	٤٢
الشرط الرابع: الإيمان بأن رسول اللَّه ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وأكمل اللَّه به الدين:	٤٤

الموضوع رقم الصفحة

الشرط الخامس: الإيمان بأنه خاتم النبيين فلا نبي بعده: ... ٤٥
الشرط السادس: الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق: ٤٧
الشرط السابع: المحبة المنافية لعدمها وبغض ما ناقض ذلك: ٤٨
الشرط الثامن: القبول المنافي للرد - أي: لرد مدلول شهادة أن محمدا رسول اللَّه: ٥١
الشرط التاسع: الانقياد المنافي للترك: ٥٤
● التوحيد والإيمان والعلاقة بينهما
- التوحيد والإيمان باللَّه: ٥٨
- التوحيد والإيمان بالملائكة: ٥٨
- التوحيد والإيمان بالكتب المنزلة: ٥٩
- التوحيد والإيمان بالرسل: ٥٩
- التوحيد والإيمان باليوم الآخر: ٦١
- التوحيد والإيمان بالقدر خيره وشره: ٧٧
مسألة: أهل التوحيد الحق ثلاثة أصناف: ٨٥
● فضل كلمة التوحيد
- فضل كلمة التوحيد في القرآن: ٩٥
- فضل كلمة التوحيد في السنة: ١٠٢
مسألة مهمة في الجمع بين أحاديث الوعد والوعيد في أهل التوحيد: ١٠٩
● معنى كلمة التوحيد
- المعنى الصحيح لكلمة التوحيد: ١١٣
- أخطاء مشهورة في تفسير كلمة التوحيد: ١٢٠
فهرس الموضوعات: ١٢٧